لماذا أهملنا جمع المخطوطات العربية المشرّدة في أوروبا؟

بقلم : وجيه الشربجي

من الثابت أن الغرب لم يسلك سبيل حضارته المعاصرة ، الا بعد ان التقى ماضيه بحاضره وقطف ثمار عقول اجداده ، ولجا الى دراسة عيون تراثه ، للافادة من تجارب اسلافه فى مختلف ميادين المعرفة .

وما أحوجنا فى يقظتنا الراهنة ، الى السعي لاحياء تراثنا . بتحقيقه تحقيقاً علمياً وافياً ، فنشر التراث العربى المخطوط يفيد العرب جميعاً فى بناء حضـــارتهم ومستقبلهم ، ويدعو الشباب العـــربى للالتصاق بهموم امته وقضاياها المصيرية .

ولكن الخطوة الأولى والهامة التى ينبغي أن تسبق التحقيق والنشر . هى قيـــام المؤسسات الثقافية العربية المهتمة بشؤون التراث بحصر جميع المخطوطات العربيـــة الثمينة المنتشرة فى ارجاء العالم . فالاحاطة بكافة كتب التراث العربى وبخاصة العلمية منها ، باتت ضرورة قومية ملحة ، اذ لا يجوز مطلقاً أن يبقى العرب الى اليوم لا يعرفون مالديهم من كنوز ثقافية وعلمية ، صاغها الانسان العربى خلال عصور الأزدهار .

والمشكلة الاساسية الآن تكمن فى عدم وجود فهارس تضم المخطوطات العربيـــة الموجودة فى البلاد العربية والأجنبية ، فدار الكتب الظاهرية بدمشق التى تحتفظ باكثر من عشرة آلاف مخطوط نادر لم تصدر حتى الآن فهارس لجميع مخطوطاتها ، والمكتبات العامة والخاصة فى بغداد والقيروان وحلب وبصرى وغيرها ، لا نعلم عن مخطوطاتها الا القليل بسبب عدم تبويبها وتعدادها !

ولا جدال بان فهرسة كتب التراث العربى وتصنيفها حسب اغراضها وابحاثها له فوائد جمة اهمها : تمكين الباحثين والمستشرقين من الاطلاع على التراث المخطوط لاختيار الصالح والمفيد لاعادة نشره من جديد اضافة الى أن احصاء هذه المخطوطات وتوثيقها يحول دون اختلاسها وتسربها .

الصفحة الرئيسية من المخطوط الهام « سير أعلام النبلاء » للعلامة شمس الدين الذهبي

وأمام القائمين على منظمات ومعاهـد التراث العربى اكثر من مجال لتحقيق هذا المطلب ، والاحاطة بجميع المخطوطات ، وذلك بارسال البعثات والوفود الثقافية الى مكتبات البلاد الغربية لتصنيف كتب التراث العربى القابعة فى خزائنها ، وتشكيل لجان من الباحثين العرب وتكليفها باعداد فهارس للمخطوطات المتواجدة فى مكتبات العالم العربى ، وانشاء تعاون ثقافى بين الهيئات العلمية العربيـــــة والمستشرقين بقصد التنسيق والمتابعـة والمراسلة .

ومن البديهى أن كل عمل يهدف الى ابراز ما أضافه العرب الى خزان الحضـــارة الانسانية ، يمثل قدرة الأمة العربية على الصمود وتأكيد الذات ازاء عواصف الغزو ومحاولات الاقتلاع من الجذور التى يتعرض لها العرب طوال تاريخهم .

وإن تمسكنا بتراثنا وتصميمنا على الالتزام بأصوله ، يثبت للاجيال الجديدة التى تعيش قلقها العميق الى درجة التمزق أن التراث الذى قدمه الاسلاف عبر مسيرتهم الحضارية لا يزال حي يرزق ، ويبعد عن هذه الأجيال احساسها بالانطفاء ويؤكد لها وقوفها على ارضية صلبـــة ، لا يزعزعها التهديد والتآمر الفكرى والتاريخى .

مخطوطات مشردة

وفى اطار التعريف بمكامن المخطوطات العربية المشردة فى متاحف ومعاهد المدن الأجنبية ، نقدم للقارىء العربى وصفاً مكثفاً لطائفة من المخطوطات العربيـــة المحفوظة فى بولونيا (بولندا) .

تحتفظ عدة مدن بولونية الى جـــانب العاصمة وارسو ، بكتب قيمة من التراث العربى ، يعود تاريخ معظمها الى القرنين العاشر والثانى عشر الهجرى ، والقسم الكبير من هذه المخطوطات يوجد فى مدينة (كراكوف) عاصمة بولونيا فى القرون الوسطى ، التى تاسست بها اقدم جامعة فى أوربا ، عام ١٣٦٤ م ، وتفتخر جامعـة (ياجللونسكي) بان (كوبرنيك) عالم الفلك الشهير كان من أشهر طلابها .

وتضم مدينة (فروتسلاف) فى مكتبتها العريقة والمشهورة بثروتها العلمية الضخمة ، مخطوطات عربية نفيسة ، تبحث فى الآداب والتاريخ ، كان قد اشار اليها (بروكلمان) عام ١٩٠٠ م فى موسوعته بعد أن أصدر فهرساً بها . وقام « ج ريختير » فى سنة ١٩٣٣ بدراســـة مستفيضة لكافة كتب التراث العـــربى

المحفوظة فى مدينة (بربسلاو) ، ولكن أغلب المخطوطات الشرقية والغربية التى كانت محفوظة فى هذه المدينة فقدت خلال الحرب العالمية الثانيـــة ، إثـر احتراق معالمها .

وفى عام ١٩٥٩ عمد معهد المستشرقين فى اكاديمية العلوم البولونية فى وارسـو الى جمع المخطوطات العربية المبعثرة فى المتاحف والمعاهد البولونية ، وكلف فئة من المستشرقين بتوثيقها واعداد فهرس عام يشمل كل المخطوطات الشرقية الموجودة فى بولونيا ، بما فيها العربية والفارسية والتريه والتركية بغية تصنيفها حسب اللغة والغرض والبحث .

وقد أصدر المستشرق البولوني (ف . كوبياك) الأستاذ فى معهد اللغات الشرقية بجامعة كراكوف ، كشفا ذكر فيه اسماء وعناوين طائفة كبيرة من كتب التراث العربى الموجودة فى بولونيا ، وركز اهتمامه بصورة خاصة على المخطوطات العربية ذات القيمة العلمية والتاريخية . ووعد باصدار قائمة ثانية تحتوى على جميع المخطوطات والرسائل التى كتبها بولوذيون والمتعلقة بتاريخ الشرق العربى .

أبحاث متنوعة

وأبحاث هذه المخطوطات متنوعـــة الاغراض ، فيها كتب تعالج المواضـيع التاريخية والفقهية والتفسير ، وقسم اخر يتناول علوم الجغرافيا والفلك واللغـة والشعر والنحو ، وجزء يسير تدور ابحاثه حول القصص الشعبية وتراجم الرجال والانساب .

ونشير الى مجموعة من المخطوطات العربية الموجودة فى الاكاديميات والمعاهد البولونية .

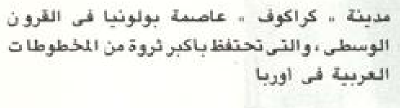
● فى معهد اللغات الشرقية بجامعة كراكوفية توجد هذه المخطوطات :

ـ تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام .. لابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (النسخة مكتوبة فى المدينة المنورة عام ٨٢٤ هـ منقولة عن مخطوطة بيد المؤلف) .

ـ كتاب طبقات المشايخ لأبى العباس احمد الدرجيني (منقولة عن نسخة من سنة ١١٨٠ هـ) .

ـ قسم عن اسبانية وصقلية (لابن سعيد الاندلسى) بدون تاريخ .





مدينة « كراكوف » عاصمة بولونيا فى القرون الوسطى ، والتى تحتفظ باكبر ثروة من المخطوطات العربية فى اوربا



مدينة « فروتسلاف » التي تضم مكتبتها العتيقة اضخم مجموعة من المخطوطات الشرقية

ـ كتاب عجب الأعجاب المنتخب من احوال بني مزاب .. لسـيد بسمعين مدبدحي .

ـ بيان التواريخ .. وهو قسم من تاريخ بني مزاب (لمؤلف مجهول) النسخة بخط مستشرق بولوني .

ـ كتاب بلا عنوان فى التفسير .. لابي الخير محمد بن محمد الجزرى الدمشقى الشافعى (النسخة بدون تاريخ) .

ـ كتاب السير لأبي العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي (النسخة من علم ١١١٩ هـ كتبها أبو بكر ابن أبي بكر) .

● وفى أكاديمية العلوم البولونية توجد المخطوطات التالية :

ـ شرح فى المصلي .. لابراهيم بن محمد ابن ابراهيم الحلبي وهو شرح كتاب منية المصلى وغنية المتبدى .. لسديد الدين الكشفرى (تاريخ النسخة رمضان سنة ١٠٤٠ هـ) .

ـ كتاب شرح الشاطبية .. لعلي بن عثمان بن محمد بن احمد بن الناصح وهو شرح حرز الاماني ووجه التهاني .. لأبى القاسم الشاطبى (النسخة بدون تاريخ) .

● أما فى المتحف الوطنى فى بولونيا فيوجد به :

ـ تاريخ الخميس فى احوال انفس النفيس لحسين بن محمد بن حسن الديار بكرى .

ـ كتاب انساب العرب .. لسلمة بن مسلم الوبي (العوني) (تاريخ النسخة شعبان سنة ١٢٥٣ نقلها سعيد بن ناسب وسليمان بن سعيد مبارك) .

وغير ذلك من المخطوطات العربية الهامة التى تؤكد ثراء المكتبات فى هذا المكان بالتراث العربى الذى يحتاج منا إلى جهود كبيرة لجمع شمله من بلاد عديدة !

المراجـع :

ـ بحث حول المخطوطات الشرقيـــة .. للمستشرق البولوني ن كوبياك .
ـ نوادر المخطوطات العربية فى العالم .. د . جمال ياسين (١٩٥٩) .
ـ حوار دار بين الكاتب والبروفسور البولوني يانوشن يوسلاف أثناء وجوده فى معهد اللغات الشرقية فى كراكوف عام ١٩٨١ .